# التجديد في الدراسات القرآنية

**د. بن نعمية عبد الغفار**

**كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية**

**جامعة وهران1**

تخضع الدراسات القرآنية في العصر الحديث إلى جملة من الأحكام أثرت في توجيهها بشكل أو بآخر على المسطور في المصنفات، كما لا يخفى الدور الذي أدته عديد الأبحاث في هذا المجال وهي بمفرداتها أبحاث متميزة، قدمت مواضيعا واضحة المعالم تعالج جانبا مهما في الدراسات القرآنية، ولا تزال هذه الأبحاث تُغني المكتبة العربية والإسلامية والقرآنية بالجديد والحادث، بل إننا نُصادف في ثنايا الكتب العديد من الدعوات إلى النظر الجديد في المسائل القرآنية، تماشيا موع دعوات التجديد التي يشهدها العقل العربي.

لا يمكن بأي حال حصر مواضيع الدراسات القرآنية في جانب معين، فظاهرها كل ما تعلق بالقرآن الكريم لكنها في الأساس تتعدى إلى كل ما يتعلق بمناهج التربية الذي أقره القرآن الكريم وهو دستور الحياة، وعليه فإن للدراسات القرآنية قضايا لا تزال تتطلب بحوثا مضنية تندرج تحت طائلة الجديد، في حين يرى البعض الآخر أن قسما وافرا منها يحتاج إلى تجديد التصور وتجديد مناهج الدراسة، حتى تتسنى بمنظورهم المواكبة العصرية المنشودة ، وبين هذا وذاك يكون التأكيد لازما حول الحفاظ على أصوليات القرآن والعقائد، وكل ما من شأنه المساس بأساسيات الدين.

ربما تزعّم هذا المنحى طائفة كبيرة من الكتاب وألّفوا في ذات النطاق مصنفات عملت بقوة على استقطاب قارئين من طبقات عالية، ولا تزال هذه الأفكار تتردد على ألسنة أمثالهم من النخب المثقفة، ولا يخفى ما أدّته من أدوار في الجامعات العربية والإسلامية، بل يصح القول أنّ ما زرعته هذه الأقلام من فتن فكرية يصلح أن يُضاف إلى محن الفكر العربي على مدار التاريخ، ونعتقد أنهم غايروا ما ادّعوه من نورانية مزعومة إلى ظلامية غير منتظرة، والدليل على ذلك تلك الردود الفكرية التي لاقاها أصحاب هذا التصور ممن جعلوا من الحرية الفكرية سبيلا إلى الغوص في ثنايا القرآن الكريم، وإقرار نتائج لا يوافقهم عليها أحد، وصلت إلى حد اعتبار النص القرآني نصا أسطوريا او تاريخيا أو أدبيا، وغيرها من الأوصاف التي تمس بقداسة هذا الكتاب الكريم.

ليس الغرض من هذه الكتابة التركيز على هذه المسائل بالدرس والتحليل، بقدر ما هي نظرات سريعة ترتبط بمجموعة من النقاط تلتقي جميعها في هدف التجديد، وتُقدّم نفسها أرضية صلبة للعمل في هذا الباب.

## أولا:الدراسات القرآنية عند القدامى:

مصطلح الدراسات القرآنية يبدو حديثا باعتبار إغفال ذكره لدى القدامى، لكن مدلوله انطلق منذ فترة مبكرة من خلال الاهتمام بقضايا القرآن الكريم، فالمصنفات تحفظ بدقة أن حركة التأليف لم تغفل مطلقا الحديث عن علوم القرآن بمباحثه المتعددة ولعلها بمجموعها تشكل مدلول الدراسات القرآنية عند القدامى[1]، ولعل المصنفات ذاتها لم تحفظ أيضا أنها أتت على كل المباحث بالدراسة والتنقيب، بل احتفظت منذ بدايات التأليف بتلك التقليدية الشائعة في الطرح وهي مزية لا تُنكر بحال، مع العلم أنّ مصطلح علوم القرآن ذاته لم يكن عند القدامى بتلك الدلالة المباشرة على مباحث ( المكي والمدني، أسباب النزول، الناسخ والمنسوخ، جمع القرآن....) حيث سيغتر القاريء سريعا بعناوين عديد من الكتب التي تحمل عناوينها مصطلح علوم القرآن لكن

مضمونها في التفسير، ككتاب المختزن في علوم القرآن، لأبي الحسن الأشعري (ت324هـ)، والأمد في علوم القرآن لاين جرو الأسدي المعتزلي (ت387هـ)، والاستغناء في علوم القرآن لمحمد بن علي الأدفوي (ت388هـ)، والتفصيل الجامع لعلوم التنزيل لأحمد بن عمار المهدوي(ت440هـ)، والمغني في علوم القرآن لابن الجوزي(ت597هـ)، وسيكشف له البحث أن البذرة الأولى في علوم القرآن (الدراسات القرآنية ) ، كانت على مرحلتين:

. المرحلة الأولى: ظهور مصطلح علوم القرآن في محتويات الكتاب من دون إثباته في العنوان وذلك في القرن الثالث الهجري على يد الحارث بن أُسد المحاسبي (ت233هـ)، وهو أقدم تاريخ وفاة في هذه القضية في كتابه "فهم القرآن"[2]

. المرحلة الثانية : ظهور المصطلح في العنوان والمحتوى معا وذلك في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجري على يد ابن حبيب النيسابوري (ت406هـ) في كتابه "التنبيه على فضل علوم القرآن" وشمل كلاما عن نزول القرآن وعدّه 25 وجها من : . أنواع التنزلات (ما نزل بمكة، ما نزل بالمدينة، بالطائف، بالليل، بالنهار.....)
. أنواع الخطاب وأوصلها 15 نوعا، وأسباب النزول وغيرها، وقد نشره الدكتور عبد الكريم كاظم الراجي بعنوان" التنبيه على فضل علوم القرآن" في مجلة المورد العدد الرابع عام 1408هـ.

ومع تتابع التآليف في هذا الباب بين مختلف القرون، وصلت عند الإمام الزركشي أربعين بابا، وعند الإمام السيوطي ثمانين بابا، فإنّ إعادة تأهيل هذه المباحث على وفق مناهج جديدة يبدو فرصة علمية مناسبة لتجديد الطرح والتصور، مع الحفاظ على الأصول والأساسيات.

لعلّ من بين ما طرحته النظرات الجديدة في هذا المجال، الحديث عن التفسير العلمي، والإعجاز العلمي، والتفسير الموضوعي وغيرها، واجتهدت في اعتبارها وجها من وجوه إعادة التأهيل العلمي للدراسات القرآنية، وتصحيح مسار بعض الإطلاقات المنتشرة من أقلام إسلامية بدافع سوء التقدير، أما المحسوبون على التيار الإسلامي فأخطاءهم تأسَّست بها مدارس فكرية لا يصح معها إلا قيم المدرسة الإسلامية الصحيحة، لمقارعة الحجة بالحجة، فقد عجّت المكتبة العربية بدراسات التجديدين التي تدفع حركيتها إلى القراءة العميقة والمتأنية، وعمّت أفكارهم مختلف فنون العلم، في الأصول والأدب والتاريخ والفقه وغيرها، ويجب لزاما أن ينتصب لها المختصون.

ينبغي التنبيه أن أساس الدراسات القرآنية لا ينفصل البتة عن الدراسات البلاغية وهما متلازمان تلازم الاكتمال [3]، لكن إغفال مقومات الحيطة والحذر في هذا الربط جعل الحديث عن التناص في القرآن، وأنه كتاب أدبي، أو تاريخي، ومقارنة خطابه بخطابات الأدب العربي،مسائل مطروحة بشدة، وجعلت القرآن الكريم محل تقييم بشري ساقط، يجتهد في إطلاق أحكام غير مسؤولة عقائديا، كان الاستشراق أحدها، والحداثة والتنوير ثانيها, وغيرها من مناهج التفكير الشائعة.

إن وقوفا سريعا لمناهج القدامى في استعراض القضايا القرآنية يقف على مدارس مختلفة بين أهل الأصول والفقه والحديث واللغة وعلم الكلام، ومعها لا يكاد التعريف الواحد يستقيم في الذهن، وهي مزية عظمى تحسب لهذه المناهج التي تنم عن سخاء المعرفة الإسلامية المتجددة.

لم تخُف المصادر في هذا المجال أن المصنفات الأولى كانت غثة سمينة يُلجأ إليها وقت الحاجة، وربما لا يقل الحديث عن ضوال العلم في ضوء المتوفر فيها، فقد عمل العلماء العاملين على إثراء موسوعاتهم القرآنية بالعديد من المباحث الدقيقة في مجالات

اللغة، أو الدراسات الفقهية لآيات الأحكام، بل أفردوا مصنفات بأجزائها في مبحث فريد من المباحث القرآنية، في إشارة واضحة إلى نماء المعارف دون الحديث عن تحميلها ما لا تطيق.

ثانيا: تطوير المناهج في الدراسات القرآنية:

التطوير مسالة مطلوبة وواقعية مسايرةً للدعوات المتجددة في مختلف البلدان العربية والإسلامية التي جعلت من الإصلاح والجودة مدخلا أساسيا للتطوير، الذي يستهدف المناهج والأساليب دون الحقيقة القرآنية، وتبعا لذلك تعتمد العملية التطويرية في استقبال المعارف القرآنية على صناعة المفسّر وتستجديه أن يكون ملّما بأصول التفسير وحريصا على قواعده تحقيقا لهدف الوصول إلى تفسير حديث يُضاهي أعمال المتقدمين من جهة الإلمام والتدقيق، ويختلف عن: "الأعمال التي لا تعدو أن تكون جمعاً لأقوال المتقدمين، أو شرحاً لغامضها، أو نقداً وتفنيداً لما يعتوره الضعف منها، أو ترجيحاً لرأى على رأى، مما جعل التفسير يقف وقفة طويلة مليئة بالركود، خالية من التجديد والابتكار"[4].

أمام مختلف الطروحات العلمية يكون "تطوير القرآن الكريم للمجتمع" [5]، ناحية جديدة في الفهم والطرح، من خلال الاهتمام بتعميق مناهج البحث والتعليم في الدراسات القرآنية، والاهتمام بالقضايا القرآنية وعلوم التفسير، وهذه الفكرة تتماشى مع تركيز القرآن الكريم على مناهج التربية وقضايا المجتمع والحياة، وعليه فإنّ قضايا التطوير باتت ضرورة ملحة تستهدف بالدرجة الأولى وضع معايير مناسبة لترويج المعرفة القرآنية عالميا، واعتمادها أساسا في تأصيل الفكرة الإسلامية، وتصدير مناهج التدريس وبرامج المتابعة إلى الجامعات الغربية المهتمة بالدراسات القرآنية والإسلامية،ولا يخفى ما روّجته ولا تزال بعض الدراسات والأبحاث من تطبيقات عقلية موغلة على الدراسات القرآنية لتصل إلى نتائج لا أصل لها أو خطيرة في بعض الأحيان[6]، فيكون لزاما أن يجد القائمون على الأبحاث القرآنية في الجامعات الإسلامية بيئة معرفية خصبة للرد والتصدي، والعمل على ترجمة مختلف الأعمال القرآنية ترجمة جماعية: "يتقاسم أعبائها لجنة علمية تضم أساتذة في الترجمة والتفسير والقراءات واللغة والحديث والأصول والبلاغة واللسانيات"[7]

إنَّ إبراز المنهج القرآني كخطة موضوعية متطورة ومتسايرة ومتوازنة، سيضمن إلى حد مقبول الحصول على شخص الباحث القرآني المنشود، والمفسّر الموضوعي[8]، والفاعل في تصدير حقيقة تأثير الدراسات القرآنية في مختلف العلوم والفنون، وكثيرة هي اللقاءات العلمية التي تركز على بيان تلك القيمة العلمية بين تطوير الدراسات القرآنية وبين تكوين المفسرين، وتساهم بهذه الفكرة في صناعة المفسر وفق منهجية علمية أصيلة، خاصة إذا علمنا أنّ الحركة الاستشراقية حين تعاملت مع تفسير القرآن الكريم وأسّست مناهجها في ذلك وحاولت تطبيق العلوم والمناهج الغربية، كانت تشير "أن تطور الدراسات الدينية بالغرب في أواسط القرن العشرين قد حدث تحت تأثير التقدم الملحوظ في تفسير الكتاب المقدس"[9]، الذي اعتبره الغربيون أصلا في تطور علومهم وفنونهم، فكذلك الشأن هاهنا سيكون التقدم الملحوظ في تفسير القرآن الكريم أساسا في تطور الدراسات القرآنية، وبالتالي الوصول إلى حقيقة تطوير القرآن الكريم للمجتمع من خلال تأكيده وإشاراته إلى " شبكات العلاقات الإنسانية"[10]، ومع كثرة الأبحاث التي تناولت هذا الجانب فيجب التأكيد أنّ الباحث الموضوعي في هذا الصدد مُلزم بالتمييز بين ثلاثة أنواع من الكتابات في الدراسات القرآنية وهي:

أولا: بين الكتابات التي انتقلت من:" الاهتمام باتجاهات التفسير إلى التي تصدَّت لتفسير القرآن ذاته"[11].

ثانيا: بين الكتابات التي انتقلت من "تعديل م نهج التفسير القديم تعديلاً يناسب في حكمة وروية مقتضيات الفكر الحديث إلى التي فرضت ثورة تطورية تنسف مناهجه أصلا"[12]

ثالثا: بين الكتابات التي "تناولت أساليب فهم القرآن حيث تخضع للمكلة الأدبية واللغوية، وبين التي تناولت طرائق التفسير حيث تخضع لما يغلب على المفسر من اختصاص في العلوم المختلفة" [13] والتي تولّد منها التفسير الفقهي أو اللغوي أو الإعرابي أو البياني أو التحليلي أو الموضوعي أو الإشاري ...إلخ

سيكون من الإنصاف إذا اعتبار الانتقال الملحوظ للدرس التفسيري من الحلقات المسجدية إلى هذه الطريقة التعليمية المعروفة اليوم في الجامعات والمؤسسات التعليمية نمطا مغايرا ومميزا في التطوير"[14]، وسيكون من العدل أيضا اعتبار الدعوة إلى تجديد مناهج هذه المؤسسات مبنية على العمل الجماعي قبل العمل الفردي ضرورة مُلحة، إذ نعتقد أن النظر الفردي في القرآن الكريم سيوصل إلى نتائج منقوصة، فما غاب عن الواحد يُكمله الآخر.

. إنّ الاهتمام الواضح بالدراسات القرآنية في العصر الحديث وطّد لدينا قناعة اعتبار كلَّ غثَّ وسمين يُصادفُ في كتبها ومُصنفاتها ناتج عن غير المتخصصين في مختلف فنون العلم، تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمان:" وطالما نبه علماء الدراسات القرآنية إلى ما ينبغي لكل دارس يتعرض لشيء منها، من اختصاص بالعربية وفقه لأساليب كلامها، وإطلاع على طرق المتكلمين وأصول الدين"[15]، وعليه فالتخصص ثم الالتزام به في التدوين والكتابة سيضمن مرتبة مقبولة من الموضوعية في الطرح والنتيجة على حد سواء.

ثالثا:التفسير الموضوعي وجه جديد في الدراسات القرآنية:

ليس ما يعالجه هذا المقال ادعاء لفكر نمطي عير مسبوق، بل معالجة آنية سريعة لبعض النقاط المهمة في باب الدراسات القرآنية، لم تُخفِ المصنفات قيمتها العلمية أو التأليفية عند القدامى أو بعض المحدثين المهتمين ، فللعديد من الكتب تناولت الحديث عن التفسير الموضوعي، ربما يحتاج البحث فيه إلى قواعد تختلف عن قواعد التفسير المعروف، فهذا النمط من التفسير اعتبره البعض أساسا في تأصيل الدراسات القرآنية وعرضها عرضا قرآنيا ممنهجا" [16]، بل اجتهدت في اعتباره ضابطا ومؤسسا في دراسة مواضع قرآنية كثيرة (كأصول التربية القرآنية)، و (أصول علم الاقتصاد الإسلامي)، و (أصول الإعلام الإسلامي)، وحجابا مانعا في ذات الوقت مرالتفريط والإفراط في نسبة هذه المسائل والموضوعات للقرآن[17].

إن دعاوى التجديد التي تُقبل فكرتها دون ما تنبني عليه اتجهت مباشرة إلى القرآن الكريم، باعتباره في نظرهم النص الإسلامي الأول[18]، لكنها خطوة تتطلب الحذر، فأصحاب هذه الدعاوى كما يبدو لم يضعوا حدودا في هذه النظرة، التي يغلب عليها إعادة صياغة المفاهيم الأولى في تفسير القرآن، بل النظر حتى في مصدريته النبوية، أما ما كان مصدرها تفسير الصحابي فباتت أهون في دعاوى النظر والتجديد، تحت غطاء عبارات القرآن حمال أوجه، وأن الاجتهاد ظني، وأن لا عصمة لأحد، وغيرها

أغلب التعاريف إذاً،تُركزُ على أهمية التفسير الموضوعي في معالجة واقع الناس، والميل إلى تعريف دون غيره يتأسَّسُ على حسب المقاصد، لذا يكون من أوفقها بحسب هذا التوجيه من عرُّفه ب :"علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر"[19]، لكن الدراسات النقدية تستبعد هذا التعريف، وتجنح إلى

مراد الله تعالى كعامل مهم وأساس في التعريف على نحو: " الكشف الكلي عن مراد الله تعالى في فضية قرآنية بحسب الطاقة البشرية"[20]

ورغم ذلك فإن تأكيد كون التفسير الموضوعي نظرة جديدة في الدراسات القرآنية يتطلب دراسة نقدية وافية للموضوع للوصول إلى الحكم، فالدراسات على كثرتها تؤكد هذا الزعم والادعاء، ووحدها الدراسة النقدية الكفيلة بوضع حجر الأساس، وعليه فإن تتبع هذا المصطلح في المصنفات لا يبعث على التسرع في إطلاق الحكم لكنه يُشجع التأكيد على المعرفة الإسلامية المتجددة من جهة كثرة المصطلحات.

لقد تعددت المصطلحات الدالة على هذا النمط من التفسير، فالبعض يذكره بالوحدة الموضوعية، والوحدة العضوية، والفكرية، والنسقية، وواضح من مسمياتها أنها تختلف في المدلول والمعنى، رغم اتفاق أصحابها على انفرادهم في إطلاقها على مسمى التفسير الموضوعي.

يجب في هذا المبحث الإشارة إلى أنَّ كثرةالتعاريف التي صاغها المهتمون بالدراسات القرآنية للتفسير الموضوعي، إضافة إلى كثرة مسمياته يكشف عن مدى عدم اتضاح الرؤية والهدف والمنهج في هذا النمط من التفسير.

وبالعودة إلى تاريخ النشأة والتطور سنصادف كمًا جمًا من الادعاءات بالسبق في الممارسة التفسيرية اعتمادا على مسمى التفسير الموضوعي، فبالعودة إلى الأصول التاريخية التي تجعل بداياته من عهد النبي صلى الله عليه وسلم، شأنه شأن أنواع التفسير الأخرى[21]، تنتزع الدراسات التأسيسية صدارتها قي ذلك بالرجوع إلى مصنفات القرن الثاني للهجرة في الناسخ والمنسوخ، والمجاز القرآني، وأسباب النزول، وغريب القرآن، والأقسام والأمثال القرآنية، لكنها صداها لم يتعدَّ اعتبارها دراسات لأنواع خاصة من الخطاب القرآني[22]، أو أنها دراسات اجتهدت في جمع فرعيات التفسير التجزيئي لما بينها من تشابه"[23]. وفي ثنايا الحديث عن بذور هذه النشأة تدخَّل المعتزلة لادعاء السبق من خلال إشارات الجاحظ في كتبه المختلفة، ولولا ضياع كتابات المعتزلة لظهرت أدلة هذا السبق[24]

لقد فتح ذلك المدح العلمي لأعمال المستشرقين الباب واسعا لادعائهم تطوير منهج البحث الموضوعي في القضايا القرآنية، "فانطلاقا من نظرتهم القاصرة والخاطئة التي تجعل من اختلال النص القرآني وعشوائية ترتيبه [25] كان النظر الموضوعي بالنسبة لهم مدخلا مهما في فهمه وفك غموضه، واعتمدوا في تدليل ذلك على تصنيف المعاجم الموضوعية [26]، وعلى هذا النهج في التدليل على السبق سارت الدراسات الأدبية,والشيعية، والأزهرية والاجتماعية، وجميعها لاقت من النقد ما أثبتته الدراسات والأبحاث، وإن كانت هذه الصفحات تعتمد على الموضوعية في التسطير فيجب القول أن التفسير الموضوعي هو حصيلة جميع هذه الجهود، غاية الفرق بينها هو المفهوم والمنهج، وهما أساس النظر والطرح في تجديد الدراسات القرآنية.

إن الموسوعية المرجوة في النظر الموضوعي في استهدافها للنص والمصطلح معا هي المهمة التي يضطلع بها المدرّسون للحصول على أرضية مناسبة تحتضن عمليات التطوير والمنهجة، وقد أشارت بعض الدراسات أن "ذهول المفسرين أحيانا عن تحقيق دلالات المصطلحات يعود لانشغالهم بتفسير الآيات في إطارها التعبدي دون الرجوع إلى تتبع نصوص المصطلح كلها ودراستها واستخلاص الدلالة من مجموعها وربما وظف لها المعنى الذي صار في عرف علوم مجاورة كأصول الفقه أو المقاصد ..."[27].

رابعا: المؤتمرات العلمية أرضية خصبة للتجديد في الدراسات القرآنية:

في صدد التأكيد على مسألة التخصص لا تزال المؤتمرات واللقاءات والملتقيات والندوات العلمية تُعقد حول أعمال المستشرقين، وأظنُّهم يتفقون في مسألتين، إحداهما إيجابية تتعلق بجهودهم العملية المرموقة، والثانية سلبية ترتبط في اعتمادهم على منهج الطعن والتشكيك والاعتماد في كتاباهم حول القرآن الكريم على مصادر غير متخصصة في الأدب والتاريخ والرحلات وغيرها، ويبدو واضحا أنّ هذا الخطأ في نتائجهم نابع من المسالة الثانية، والتي لا يزال الاستشراق الحديث يتخذها أصلا في التحليل والدراسة.

وعليه، فالعديد من اللقاءات العلمية في مجال الدراسات القرآنية انتقلت بسرعة نوعية في السنوات الأخيرة من التنظير إلى التطبيق، وركزت في الطرح على قضايا التجديد في المناهج، والجودة في التعليم، كالذي تشهده المملكة العربية السعودية بالتحديد، حيث تعقد هذه السنة ( 2015)المؤتمر الثاني لتطوير الدراسات القرآنية، هدفه تحديد بيئة تعليمية مناسبة، وعرض البرامج

والتجارب العلمية الرائدة، وكذا مشاريع البحث المتخصصة، فيبدو واضحا أنّ هذه الملتقيات مساحة مناسبة للراحة العلمية التي يطلُبها الباحثون، حيث يُدلي صاحب المداخلة بما يراه مناسبا ومتماشيا مع الأهداف المعلنة للمؤتمر.

نعتقد بحزم أنّ هذه المؤتمرات تجتذب العديد من المسميات كالدراسات الإسلامية، أو الدينية، أو الشرعية، أو الفقهية، أو الأصولية، وغيرها، لكنها تعود في أصلها وتحليلها ودراساتها إلى الدراسات القرآنية، لأنها تتخذُ هي ذاتها القرآن الكريم مصدرا وأساسا، وتعمل في كل ظهور جديد على التذكير والتأكيد أنّه السبيل الوحيد إلى النجاح والتميز.

لا تزال الشبكة العنكبوتية تحتفظ بالعديد من المؤتمرات القرآنية المتخصصة، حتى انتدبت جامعة ماليزيا مؤتمرا دوليا سنويا تحت مُمسى "مقدّس" أي الملتقى القرآني الدولي السنوي، ينتخب في كل سنة موضوعا يستجيب لذلك الواقع العلمي المطلوب والمنتظر في الدراسات القرآنية، وذاته الشأن في مختلف الجامعات، بل إننا نلاحظ ذلك الاهتمام بالدراسات القرآنية في تخصصات الادب واللغة العربية، وتخصصات التاريخ والحضارة الإسلامية، حيث يجتهد القائمون عليها في عقد العديد من المؤتمرات التي تكشف عن علاقة التأثير والتأثر بينها وبين الدراسات القرآنية.

خاتمة:

من خلال الاطلاع على العديد من الأبحاث والدراسات القرآنية يمكن التأكيد أن اعتبار تجديد مناهج الدراسات القرآنية مع الحفاظ على أصولها أساس في تطور مناهج العلوم الإنسانية، ومناهج الفكر الإنساني عموما، ولازلنا نؤكد أنّ تمرير هذه الرسالة العلمية لن يتحقق إلا باحترام التخصص، وبالعمل الجماعي، فهما الكفيلان بتوفير تلك البيئة العلمية والمعرفية والتكوينية، ولا يزال البحث مُستمرًا عن ذلك الباحث الموضوعي والقرآني والمفسِّر، الذي يعملُ على تحليل الظاهرة القرآنية ودراسة القضايا القرآنية، عن طريق تأسيس منهجٍ للنظر في تفسير القرآن الكريم، يرعى في مجموعه أصول وقواعد التفسير، وفرعيات القضايا الحادثة.

لا يزال التأكيد قائما على أن الدراسات القرآنية تنطلق من الجمع بين ثلاث ظواهر تشترك في متانة العقل العربي والإسلامي، وهي: دراسة الظاهرة النبوية التي لن تستوِ إلا بدراسة الظاهرة المحمدية، وهي بدورهاتنبني فيأساسها على الظاهرة القرآنية، بل تمنع في شق الآخر تلك المضايقات التي يتعرض لها هذا العقل بين الزمن والآخر، وبالعودة إلى أرضية المجتمع الإسلامي الأول سنجد ذلك الإيمان يتجاذبه أمران، إما الإيمان بشخص النبي محمد عليه الصلاة والسلام أولا ثم الإيمان بالقرآن الكريم، أو الإيمان بالقرآن الكريم أولا ثم الإيمان بشخص النبي عليه الصلاة والسلام، وهما مسألتان أشعلتا فتيلا كبيرا من الصراع الفكري في الجامعات العربية.

سيكون من المهم إذا تجديد الدعوة إلى اعتبار هذه المسائل أساسيات في دراسة تلك الظواهر الثلاث، والعمل على تحديد نقاط الاشتراك، والتأكيد على ضرورة تحديد مسار واضح للدراسات القرآنية، فالجزائر لا تزال تنتظر إنشاء الكراسي العلمية في التخصصات، ويبدو أن تخصص الدراسات القرآنية قد أثبت حضورا مميزا، وسطر أرضية خصبة قابلة لهذا النوع من التقدير.

لن يستنكف القائمون على تخصص الدراسات القرآنيةفي قبول مختلف التصورات العلمية التي تُعين في تحديد مسار أكاديمي عصري يعمل على نقل المعرفة القرآنية إلى الجامعات الغربية، ويُساعد في تعريف مجتمعاتهم بالقرآن الكريم، ولازلت أحتفظ في ذاكرتي بذلك الاهتمام الواضح بقضايا القرآن الكريم من طرف الطلبة في كلية العلوم الإسلامية ببروكسل، مما يدلُّ على حاجتهم الماسة إلى الاطلاع والتعليم، ولا تقع هذه المسؤولية إلا على المتخصصين والقائمين على شؤون التدريس.

**الهوامش:**

**1 . صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلوم للملايين، ط24، 2000م، ص 124**

**2 . الحارث ين أسد المحاسبي، فخم القرآن ومعانيه، تحقيق، حسن القوتلي، دار الكندي، دار الفكر، بيروت، ط2، 1398م،**

**3 . ألف العلماء في هذا الشأن تآليف واسعة يمكن الرجوع إليها في مظانها، وأغلب الكتب التي تناولت موضوع أو مبحثا من مباحث الدراسات القرآنية**

**4 . محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون ، مكتبة وهبة، القاهرة، ص 2، ص 363**

**5 . فهد بن عبد الرحمان الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر،، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، ط1، 1407ه، 1986، ج3، ص 866**

**6. بعض الدراسات توصل إلى نتائج تمس بأصول العقائد، أو بالقرآن الكريم والثابت من السنة النبوية تحت مُسمى العقليات**

**7 . إبراهيم الوافي، الدراسات القرآنية بالمغرب في القرن الرابع عشر الهجري، ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1420ه، 1999م، ص 174**

**8 . مصطلح الموضوعي هنا لا يقصد به اللفظ المتداول في التفسير الموضوعي، بل المفسر المتوازن والمعتدل والمتعمق**

**9 . عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس، تفسير القرآن الكريم في كتابات المستشرقين، ، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ج67، ص 140**

**10 .، زينب العلواني، مراجعات في تطور المنهج المقاصدي عند المعاصرين ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص 37**

**11 . عبد الرزاق بن اسماعيل هرماس، المقال السابق، ص 134**

**12 . مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، تحقيق، ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، سورية، ط4، 1420ه، 2000م، ص 57**

**13 . محمد البشير الإبراهيمي، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم، أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997م، ج2، ص 250**

**14. يُنظر، إبراهيم الوافي، المرجع السابق، ص 305**

**15 . عائشة عبد الرحمان، الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف، ط3، ص 97**

**16 . عاطف إبراهيم متولي الرفاعي، صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم، دراسة في التفسير الموضوعي، رسالة ماجستير، جامعة ماليزيا، 2011، ص 16**

**17. المرجع نفسه، ص 16**

**18 . يُطلقُ التجديديون هذه التسمية على القرآن الكريم.**

**19 . مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، ط4، 1426ه، 2005م، ص 16**

**20 . سامر عبد الرحمان شواني، منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، دراسة نقدية، دار الملتقى، سوريا، ط1، 2009م، ص 45**

**21 .كالتفسير التحليلي، والفقهي، واللغوي، والبلاغي، البياني، الإجمالي، والمقارن وغيرها، فكلها تشترك في وحدة النص وتختلف في منهج العمل**

**22 . زياد خليل محمد الدغامين، منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، دار البشير، عمان، ط1، 1990م، ص 19**

**23 . محمد باقر الصدر، التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية، الدار العالمية، بيروت، ط1، 1989، ص 24**

**24. الشواني، المرجع السابق، ص 81**

**25 . بلاشير ريجيس، القرآن ،نزوله، تدوينه، ترجمته، وتأثيره، ترجمة رضا سعادة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1984م، ص 41**

**26 .كالمعجم المفهرس لفلوجل، وتفصيل آيات القرآن الكريم لجول لابوم.....**

**27 . آفاق تطوير الدرس المصطلحي للقرآن الكريم مفهوما ومنهجا فريدة زمرد، منشور ضمن أعمال مؤتمر خدمة النص والمصطلح في القرآن الكريم، ص 293**